مجلة مدارات سياسية
EISSN: 2710 - 8341 ISSN: 2588 - 1825
المجلد (06) / العـدد: (02)، (2022)، ص 64 - 81

الحوارومتطلبات تفعيله بين الحضارات - مقاربة متعددة الأبعاد

Dialogue And its Activation' Requirements- Multidimensional Approach

بشير بن لحبيب
مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية
جامعة عمار ثليجي بالأغواط، (الجزائر)، b.benlahbib@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/11 تاريخ قبول النشر: 2022 /11/21 تاريخ النشر: 2022/ 12/29

ملخص:

إن ثقافات العالم اليوم أصبحت متنوعة بتنوع المشارب الحضارية والمعتقدات الدينية ونظم المعاش المشَكِلة للوعي الإنساني، المنصهر من حيث التكوين والعلاقات الارتباطية إلى حد لا نهائي. ولأن البشر محكومون بالعيش سويا في عالم واحد، فقد دعت ضرورات الجوار إلى البحث عن مساحات مشتركة للتعاون والتفاهم عبر تاريخ اللقاء الطويل بين الأفراد والمجموعات والشعوب. لقد تراوحت شبكة العلاقات الكثيفة في هذا العالم بين فترات السِلم والحرب والاستقرار والتوتر والتخطيط للمواجهة وصد الغزاة والجوسسة وحمى التسلح وتوازن الرعب وتجنيد الإعلام.

مع ذلك، فإن الطرح المذكور يُبطن في ذاته جملة من المغالطات وكثيرا من التشاؤم، فقد وجدت فكرة حوار الحضارات تيارا من المفكرين والفاعلين الذين تأسست قناعاتهم على رؤية أكسيولوجية للعيش المشترك في عالم أكثر عدلا وأمانا للجميع. إنه طرح ينحاز كليا للإنسان ويستبعد منطق العصبوية السجالية الضيقة، محاولا تبديد الصور النمطية السلبية والشعارات الحاملة لألوان العداء للآخر الإثني والديني والحضاري، وفي هذه الورقة البحثية سوف نتناول المرتكزات الوظيفية للحوار بين الحضارات مبرزا في ذلك الدور الذي لعبه المفكرون والساسة في تفعيل مبدا الحوار السلس الهادف الى تعزيز أهمية التنوع الثقافي كمؤشر للتعايش السلمي.

الكلمات المفتاحية: حوار الحضارات؛ روجي غارودي؛ محمد خاتمي؛ زكي الميلاد.

Absract

Contemporary world cultures are as varied as cultural backgrounds , religious beliefs, and livelihood systems, forming human consciousness, which is relationally and formatively, infinitely multiple. Since human beings are condemned to live together in one world, the necessities of neighborhood have called for the search for common areas of cooperation and understanding through the history of long encounters between individuals, groups and peoples. The network of intensive relations in this world has ranged between periods of peace and war, stability and tension, planning of confrontation, repelling invaders, Spies, Arms race, balance of terror and recruitment of media.

However, issue mentioned hides in itself many fallacies and much of pessimism, the idea of dialogue among civilizations found a stream of intellectuals and actors whose convictions were based on an axiological vision of living together in a more just and secure world for all. It is an entirely biased approach to the human being and excludes the logic of narrow tribalism, trying to dispel negative stereotypes and slogans that bear the types of ethnic, religious and civilizational hostility to the other. In this paper we will address the functional underpinnings of dialogue among civilizations, highlighting the role played by intellectuals and politicians in activating the principle of smooth dialogue aimed at enhancing the importance of cultural diversity as an indicator of peaceful coexistence.

key words : Dialogue of Civilizations; Roger Garaudy; Mohamed Khatami; Zakie Elmilad

1. مقدمة:

إن الترابط الحضاري الذي طرحه المفكرون لتوحيد الروى والقناعات حول تمرير مشروع الحوار الذي يتحرك فيه كل الفاعلون للاغتناء بتجارب الكيانات التاريخية والجغرافية الأخرى، والاستفادة من إمكاناتها الغنية، فالمشكلة ليست في تنوع العلب الحضارية حسب تعبير "آمارتيا صن"، وإنما في طريقة تعاملها مع بعضها، بل وفي داخل الكتلة الحضارية الواحدة، فقد قامت نزاعات وتحالفات وحروب بين الأوربيين وبينهم وبين العرب المسلمين على مدار القرون العشرة الماضية، عرف القرن الأخير أكثرها بربرية ودمارا .... ولازالت شحنات العداء تحصد نفوسا بريئة في أصقاع كثيرة من عالم اليوم «ومع المزيد من تجارب الصراع عبر القرن العشرين وما مر من القرن الحادي والعشرين تتأكد حقيقة أن السلم الدولي يحتاج علاقات إنسانية وثقافية، تقوم على الاقتراب الحقيقي لا على تعليب الثقافات »[1].

وبناء على هذا الانشغال جاءت الورقة البحثية التي تعالج المرتكزات الوظيفية للحوار الحضاري عبر مقاربات غربية وعربية تسند إلى تصور إمبريقي فلسفي سياسي، وقد تم تقسيم الورقة البحثية الى العناصر التالية:

2. تحديد المفاهيم

1 – مفهوم الحوار:

الحوار في اللغة: يقال كلمته فما رجع إلي حِوارا ومُحارا ومحاورة وحويرا ومحورة بضم الحاء بوزن مشورة أي جوابا وأحار عليه جوابه رده وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة والاسم من المحاورة الحوير تقول سمعت حويرهما وحوارهما والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب وتقول كلمته فما أحار إلي جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما رد جوابا واستحاره أي استنطقه وفي حديث علي كرم الله وجهه يرجع إليك ما أنباكما بحور ما بعثتما به أي بجواب ذلك يقال كلمته فما رد إلي حورا أي جوابا" [2]

ويرى مختار الصحاح للعلامة محمد بن أبي بكر الرازي وهو تلخيص للكتاب العظيم صحاح الجوهري نجد العلامة الرازي في باب ح و ر يقول (حار: رجع) (المحاورة: المجاوبة) (التحاور: التجاوب)[(3)].

واصطلاحا : الحوار نوع من الحديث، لكنه يدور بين طرفين(وهو يكون ضمني أو مباشر[4]).

2 – مفهوم الحضارة:

2–1 في اللغة:

إذا كانت الحضارة في أصل اللغة تعني إقامة مجموعة من الناس في الحضر، أي :في مواطن العم ا رن، سواء كانت مدنا أم قرى، فإن معناها قد توسع عند المؤرخين والباحثين الاجتماعيين حتى صار شاملا لجميع أنواع التقدم والرقي... [5]

ويقول مختار الصحاح للشيخ الرازي في مادة ح ض ر (الحضر بفتحتين خلاف البدو) (والحاضر ضد البادي) (والحاضرة ضد البادية وهي المدن والقرى والريف والبادية ضدها يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية وفلان حضري وفلان بدوي وفلان حاضر بموضع كذا أي مقيم به والحضارة بالكسر الاقامة في الحضر عن أبي زيد وقال الأصمعي هو بالفتح)[6] .

2-2 اصطلاحا:

تعرف الحضارة بكونها التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف وهي بالتالي تنزع إلى العمومية خلافا للثقافة التي تنزع إلى الخصوصية، كما أننا نعني بها – أي الحضارة – "ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان"[7].

3 – المفهوم الشرعي لكلمة الحوار:

أفضل ما يستدل به على المفهوم الشرعي لكلمة الحوار هو كتاب الله العزيز حيث نجد جدر (ح و ر) في التنزيل بهذا الشكل (يحاوره) مرتين و(تحاوركما) مرة، فبالنسبة لـ(يحاوره) وردت في سورة المكية في الآية 34 ثم في الآية 37 هكذا:

﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا و أعز نفرا﴾ الآية 34 و الآية ﴿قال له صاحبه و هو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ الكهف الآية 37 .

وتعرّف أيضاً . أي الحضارة . بأنها مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مُثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة، أو بعبارة مختصرة " جميع مظاهرة النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي"[8].

ويرى ابن خلدون بأن الحضارة «هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفاه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر»[(9)].

ويعرف مانع حماد الجهني حوار الحضارات" بأنه التواصل والتفاهم بين المنتمين إلى حضارات متعددة في أزمنة مختلفة، وأنه حوار بين أنماط من البشر يختلفون في ثقافاتهم وهواياتهم ومهنهم وحقيقة الحوار الحضاري، هو أنه تفاعل بين الشعوب في مسيراتها المختلفة التي يغلب عليها السلم والتسامح عند نجاح الحوار الحضاري الإيجابي ويلفها الصراع والحروب عند غياب الحوار الموضوعي"[10].

3.الإطار الفلسفي والتاريخي لحوار الحضارات:

إن التاريخ البشري حافل بالكثير من الشواهد الدالة أن الحوار أحد سمات الاتصال البشري، كونه عاملا مؤثرا في تكوين الحضارات وانتقالها، فيقدر ما كان للحرب من أسباب في الدمار كان للحوار دورا كثيرا في بناء العلاقات السليمة وتحقيق التواصل الحضاري وبناء الثقافات. باعتبار حوار الحضارات هو التفاعل الفكري الناشئ

من احتكاك المبادئ والنظريات، حيث تنفتح الحضارة على ثقافة الآخر، وتطلع على مبانيه الفكرية ومبادئه العقدية فيتم التفاعل بين الثقافتين، ليكتسب كل منها من الآخر، يقدر قوة تأثير الأول وتقبل الثاني.[11]

فالحضارات تتحرك عبر سبع مراحل :التمازج، الحمل، التوسع، عصر الصراع، الامبراطورية المترامية، الضعف الغزو، وبالتالي فالحضارات هي كيانات ثقافية وليست سياسية كما يدعي أصحاب التيارات المختلفة والمواهب فإن فكرة حوار الحضارات هي البديل الموضوعي والإيجابي لطرح صدام الحضارات تبوأت به أفواه الغرب عقب انتهاء الحرب الباردة بين الشرق الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي السابق والغرب الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة، فإن نهاية هذه الحرب قد اطلقت العنان للقوى الثقافية الحضارية، إذ تعددت تفسيرات خروج طرح صدام الحضارات ما بين اقتراض أن الدعوة لمواجهة عدو جديد على أسس حضارية، ثقافية وليست إيديولوجية، حيث توفر رؤية مشتركة للغرب وسببا للحفاظ على التماسك والتحالف السياسي والثقافي. إن دوافع أطروحة صدام الحضارات هي رد فعل متوازن في آن واحد لحوار الحضارات، فهي دعوة تبنتها دوائر كثيرة عبر العالم، خاصة في العالم الإسلامي، كما تبنتها أصوات قلة في الغرب[12].

فحوار الحضارات هو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف ويكسر التعددية، ويؤمن بالمساواة، و لهذا برز الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي كداعية لحوار الحضارات فقد كان لروجي غارودي دورا في الدعوة إلى الحوار بين الحضارات، حيث أسس في جنيف سنة 1976 المعهد الدولي للحوار بين الحضارات، وفي العام التالي اصدر كتابه ":من أجل حوار بين الحضارات، حيث جاءت دعوته للرد على الهيمنة الغربية على الثقافات فغارودي هو صاحب السبق إلى الدعوة إلى حوار الحضارات وهو يمنع الدعوة إلى الصراع ينطلق من فكرة منصفة للشرق محاولا أن يصحح مفاهيم عديدة لدى الغرب و على أ رسها مفهوم الغرب في حد ذاته، مبينا فضل الشرق عليه، أن الغرب ولد في أحضان الشرق[13]، فقد دافع غارودي عن الأبعاد الإنسانية للحضارة، وكانت دعوته للغرب أن يعوض الفرص المفقودة في فضاء الهيمنة على حضارات العالم الآخر، وأن يرى جمالياتها الدينية والفنية والأدبية، ويبحث عن الحلول لتصيح مساره، بعد أن وصل خلال القرون الأخيرة إلى مأزق خطير.

هكذا كانت الدعوة إلى حوار الحضارات من الخصائص المميزة للنصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، وإن لم تنعدم في النصف الأول منه حيث كان يقام في تلك الفترة في كل سنة في عاصمة من كبريات عواصم الغرب، مؤتمر عالمي للأديان بغرض دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات وابطال الحروب والمخاصمات.

فالحوار الهادف بين الحضارات حاجة تنبع أساسا من طبيعة هذا العصر الذي اشتد فيه الصراع بين الشعوب والأمم والدول وتفشى فيه النزاع حول المصالح والمواقف والسياسات، وأصبحت الحدة والعنف طابعا مميزا لتعاملات الناس فيما بينهم، بينما تراجعت القيم الإنسانية النبيلة التي تحث على التسامح والتعاون، فالعالم في هذا الطور من التاريخ محتاج إلى الحوار الحضاري منهجا ووسيلة وأداة لتفادي الصداع ومنع نشوب الحروب بين الدول،

ولقد كان للتطور الذي عرفته العلاقات الدولية حلال العقود الأخيرة، خاصة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبالأخص بعد انتهاء الحرب الباردة مع مطلع التسعينيات، الأثر في تقوية الاهتمام بالحوار في مدلولاته وذلك بحسبانه وسيلة تثبت نجاعتها لتحقيق التعايش بين الشعوب كافة باعتبارهم أداة فعالة لاستتباب الأمن والسلم في العالم، على الرغم من الصراعات التي شابت العلاقات المحورين الرئيسيين في تلك المرحلة من تاريخ البشرية[14].

وعلى الصعيد الاسلامي والعربي اقترح زكي الميلاد ونادية محمود مصطفى، مصطلح تعارف الحضارات، حيث يقول الميلاد" :إذا انطلقنا من قاعدة التفاضل والمقارنة لنتساءل، لماذا لم تستخدم الآية كلمة ليتحاوروا أو ليتوحدوا أو ليتعاونوا إلى غير ذلك من كلمات ترتبط بهذا النسق، ويأتي التفضيل لكلمة ليتعارفوا؟ وهذا هو مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم التعارف فهو المفهوم الذي يؤسس لتلك المفاهيم' الحوار–الوحدة–التعاون' ويحدد لها شكلها ودرجتها وصورتها، وهو الذي يحافظ على فعاليتها وتطورها واستمرارها، هذا من جهة الإيجاب أما من جهة السلب، فإن التعارف كقاعدة وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات النزاع والصدام[15].

أما المفكر محمد عابد الجابري يؤكد أن حوار الحضارات يمكن أن يكون شعارا غير بريء، وهو في جميع الأحوال مفهوم مفعم بالغموض والإلباس وان جوهر القضية المطروحة اليوم بالنسبة علاقة الغرب والمسلمين هو "المصالح :"مصالح الغرب وفي مقدمته النمط والموقع الاستراتيجي والسوق العربية، فحوار الحضارات ما هو إلا وسيلة لفرض أجندة الغرب على العالم العربي والإسلامي هدفها النهائي هو سيطرة وهيمنة القطب الأوحد الصاعد(أمريكا)على العالم، وأن الجدوى الوحيدة التي قد تجنيها من هذه المؤامرة التي تلبس ثوب حوار الحضارات، هي أنها قد تنجح في فتح أعيننا على ما حيك لنا في الماضي، وأن هذا سوف يعنينا على أن ندرك ما يحاك لنا في الحاضر والمستقبل بالضرورة، وأننا عندما ندرك ذلك سنكشف أن الموضوع يحمل بأكثر مما يحتمل. وأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد صراع مصالح يأخذ في كل مرحلة تاريخية صفة محددة، إما اقتصاديا أو عسكريا، أو ثقافيا ...وأن هذا الصراع أو الحوار لا ينجح فيه إلا الطرف الأقوى وأن الطرف الأضعف هو الخاسر على الدوام[16].

في حين يؤكد خاتمي أن حوار الحضارات يعكس رغبة متبادلة في التعايش والتفتهم والتعاون، وهو التفاعل الثقافي والتشاور بين الشعوب والقدرة على التكيف مع الأفكار والتوجيهات المختلفة والتعامل المتحضر مع جميع الآراء الثقافية والفنية والدينية من أجل إرساء فكرة التعايش السلمي وتجنب الأزمات في مختلف المجالات السياسية والدينية ومختلف التوجيهات والمذاهب[17].

4.أهمية الحوار بين الحضارات وضروراته:

لقد عرض عالم الاجتماع د. علي أصغر صباغ بور احتياجات الحوار وضروراته على الصورة التالية:

1. الاحتياجات الحضارية: كل حضارة تحتاج إلى التعامل مع البيئات التي تحيط بها لأجل بقائها، وتفاعلها... وفي هذه الحالة يبدو أن النظرة الدينامية إلى جانب النظرة الساكنة تساعدنا على تقوية

الحضارة الخاصة بنا. ففي النظرة الساكنة نعد الحضارة بمثابة بناء، ونظام ميكانيكي كحد أعلى، في حين أنها في الحالة الدينامية تبدو كعضو حيٍّ، ونظام مفتوح له حياة، ووجود حيٌّ، ولديه القابلية للنمو. وفي عالمنا اليوم تتعلق دينامية الحضارات وبقائها بارتباطها ببعضها البعض.

2. الاحتياجات الدولية: إن كل حكومة ونظام سياسي يجران وراءهما جذورهما الحضارية. وإن نظرة الحكومات إلى السلام العالمي، والدبلوماسية والحرب،... إلخ تتأثر بالمضامين الفكرية والثقافية والحركية للحكومات. ويتيح حوار الحضارات هذه الفرصة للحكومات بأن تعرض خلاصة حضارتها للأخرى ليصلوا إلى ميثاق عالمي، ولتنخفض الحوادث المرة، وغير المستساغة التي حصلت في الماضي (كالحروب) إلى حدها الأدنى، لتصل الشعوب إلى حالة من الثبات والاستقرار في قالب من السلام العالمي.
3. مجموعة الاحتياجات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية: لا بد لكل بلد من أجل الوصول إلى المصالح الوطنية من تحقيق صيانة الذات ، والاستقلال ، ووحدة الأرض ، والأمن القومي Security، والأوضاع الاقتصادية الجيدة . وقد تساعد فكرة حوار الحضارات في الوصول إلى المصالح الوطنية، وما يليها، عبر عمليات معقدة تارة، وواضحة وجلية تارة أخرى[18].

5.مرتكزات الحوار بين الحضارات في الإسلام :

1 – ضوابط حوار الحضارات في الاسلام:

إن للحوار الهادف في مجال الحضارات جملة من الضوابط التي يجب أن تضبطه وتوجهه نحو الموضوعية والدقة والتقيد بالأهداف المرسومة له، ومن هذه الضوابط التي يذكرها لنا القرآن الكريم:[19]

– تحديد الهدف من الحوار ..قال تعالى{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى- بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَ نَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} سورة يوسف 108.

– اتفاق المتحاورين أولا على معنى الحضارة .ذلك أن الاتفاق على شيء يستلزم – الانضباط به والامتثال له حتى يصير مرجعا للمتحاورين أذا اختلفوا في أي :نقطة ذات صلةٍ بموضوع الحوار، ولاسيما أن لهذه الموضوعة (الحضارة) الكثير من التعريفات التي تحويها الكتب والمقالات والنظريات التي تحدثت عن هذا المصطلح. " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضا أَرْبَابا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" آل عمران 64.

– التعهد المسبق بالالتزام بنتائج الحوار، وعدم ترك المجال للاحتيال أو الاحتجاج عند ظهور الحجة الواضحة بكون بعض أفراد الطرف الآخر أو جماعاته أو تياراته غير ملتزمة بنتائج الحوار لأن كون المقابل غير متوحد في رؤيته وفكره ومنهجه فإن ذلك ينفي الداعي إلى الحوار أصلا، فما هو المرتجى من حوار لا ينتج عن ثمرةٍ وفائدة[20]. قال تعالى: "وَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" سورة البقرة 100.

– الاتفاق المبدئي حول النقاط الأساسية التي ستشكل موضوع الحوار: مما لا شك فيه أن لكل حديث نافعٍ محور أو محاور يدور حولها ولكي يكون الحديث أو الحوار مجديا لابد من أن يبتعد المتحاورون عن التشتت والخروج خارج نطاق الموضوع وهذا لا يكون طبعا إلا بتحديد محاور الحديث ونقاط الحوار التي سيجلس المتحاورون لبحثها والتوصل إلى حلولٍ عمليةٍ لمشكلاتها. " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضا أَرْبَابا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" آل عمران 64.

– الاتفاق على قبول النقد العلمي الموضوعي: من غير المعقول أن يرى الإنسان صيغة الطرح الذي يطرحه الخالق الأعظم جلّ جلاله عندما يعرض على الكافرين والمعاندين أن ينتقدوه بأن يجدوا العيوب في خلقه وصنعه ثم لا نقبل نحن النقد الموجه إلينا او نرضى بالحوار مع من لا يقبل النقد ولا يتفاعل معه ..قال تعالى: "هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" سورة لقمان 11 " الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ" سورة الملك3.

والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة والفطور الشقوق عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل السدي من خروق ابن عباس من وهن وأصله من التفطر والانفطار وهو الانشقاق[21].

التزام الواقعية والتوازن في الأطروحات والنتائج: إن الإفصاح عن الحق وابدائه غير كافٍ بحد ذاته في إل ا زم الغير الحجة بل إن مطالبة هذا الغير بان يأتي بصورة الحق التي نطرحها أو مثلها أو يأتي بما هو أفضل منها يشكل تأكيدا لوجوب إتباع الحق بواقعية وتوازن فلما طرح القرآن الكريم على أولئك الذين ادَّعوا انه ليس من عند الله فكرة أن يأتوا بمثله كان ذلك الطرح منصفا ومتوازنا مع ادعائهم انه من كلام البشر فإما أن يأتوا بمثلهِ ليفندوا ادعاء انه كلام الله أو يعجزوا فيصموا أنفسهم بالافتراء أو الكذب أو يؤمنوا بعد أن يتوبوا. " وإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُه دَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" سورة البقرة 23.

امتلاك المتحاورين الأهلية الكافية للحوار: ان محاورة الجاهل السفيه لا تثمر الا ما هو أشر من الخصومة معه، ذلك أننا نقدم اعترافا برجاحته وأهليته للحوار ثم لا ينتج ذلك عن أمر ذي فائدة، فكان من ضوابط الحوار الهادف أن تكون المحاورة مع أهل الرأي والمنطق والعلم وان كانوا كافرين. " وإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ "سورة القصص 55.

توثيق مراحل الحوار ونتائجه بجميع وسائل التوثيق الممكنة: ومعنى التوكيد تحقيق أن تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك وكفرهم بآيات الله أي المعجزات " وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقا غَلِيظا " سورة النساء 154.

فعندما نؤكد ما نتفق عليه بالمواثيق والعهود المدونة والصريحة والغير قابلة للتأويل والتحريف، بضبط العبا ا رت اللغوية، نكون قد أضفنا الشيء الكثير من الأهمية للمتفق عليه ومن ابسط هذه الفوائد بيان تنصل من يتنصل عن المعاهدة والميثاق أمام الناس لكشف توجهاته ومخططاته التي تنم عن باطله وضعف حجته[22].

2 – الإسلام والتفاعل بين الحضارات:

لا شك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية مع بعضها البعض بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة، فالتفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن، عكس نظرية (صدام الحضارات) التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب بإمكاناته العملية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتبرير ان نزاعات العالم القادمة سيتحكم فيها العامل الحضاري.

والإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد للعالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، فالصحوة الإسلامية المعاصرة تسعى إلى أن يكون العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة ان تستبدل التعصب بالمركزية الحضارية القسرية، إنما تريد لهذه الحضارات المتعددة ان تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام[23] .

ولعلنا لا نغالي إذا أكدنا هنا على أن الإسلام وهو دعوة الله إلى الناس كافة ورسالته – سبحانه وتعالى – إلى العالمين، هو الدين الذي يدعو إلى التفاعل الحضاري دعوة صريحة قوية ويحث عليه حثا، على اعتبار أن الحوار الذي نادى به الإسلام هو في طبيعته وجوهره ورسالته تفاعل حضاري، كما لا نحتاج إلى أن نقول بأن قاعدة التسامح التي يقوم عليها الإسلام فتحت أمام الأمة الإسلامية السبيل إلى سبل الاحتكاك الواسع بالأمم والشعوب، وشجعت الحضارة الإسلامية على التفاعل مع الثقافات والحضارات جميعا، ونعني بالتسامح الديني – تحديدا – أن تكون لكل طائفة في المجتمع الإسلامي الحرية في تأدية شعائر دينها، وأن يكون الجميع أمام قوانين الدولة الإسلامية سواء. وإذا نظرنا إلى الإسلام من حيث مبادئه وتعاليمه الأصلية نجد أنه هو أرقى الأديان في تحقيق مبدأ التسامح الذي هو القاعدة الأولى للتفاعل الحضاري[24] .

إن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعا " آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" سورة البقرة، الآية 284. بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين، فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام ان تسود حياة الناس، فالتأكيد على

الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات ان تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها[25].

6. حوار الحضارات بين مقاربة الغرب وتصور العرب

1- مقاربة روجيه غارودي في حوار الحضارات:

1-1 الاطار الفكري لمشروعه:

أطلق جارودي على مشروعه اسم (مشروع الأمل) الذي هو في الأصل بحث بعنوان (من اجل حوار بين الحضارات) وعقد لأجل ذلك شبكة من العلاقات في اوروبا فضلا تخصيص احد أبراج قصور قرطبة التاريخي لهذا المشروع، بدعم من الحكومة الإسبانية ويتحدد مشروع غارودي في النقاط الآتية:

أ. يستلزم مشروع الأمل خلق نسيج اجتماعي جديداً يسهم في بناء مفهوم سياسي جديد .فلا نتحدث عن منظور فردي المنزع، بل عن منظور جمعي، قائم على المشاركة، ولا عن الأنانية في السلطة والانخلاع كما هي الحال في الديمقراطيات التمثيلية وفي العقائديات التكتوقراطية حيث يصدر كل شيء من الأعلى: بل عن الديمقراطية مشاركة تستقل مبادئها واسهامها الحر. كما أننا لا نتحدث عن نظرية في السياسية بوصفها أداة السلطة ووسيلتها بمؤسسات وبأجهزة خارجية الى جانب الإنسان، بل بوصفها تفكيرا يتناول الغايات والالتزامً الشخصي والداخلي الذي ينهض به الفرد تجاه الكل[26].

ب. يتطلب الحوار تحطيم جميع الحدود والحواجز بين الثقافات الدينية والقومية، سعيا للوصول إلى نقاط التقائها من اجل الاسهام المشترك في حل المشكلات المعاصرة للإنسان[27].

ج. لا يمكن أن يكون هناك حوار حقيقي مالم يقتنع كل طرف بأن يتعلم شيئا من الأخر، ثم استعداده لإعادة النظر في معتقداته الخاصة[28].

إن مشروع (غارودي) الذي يرسم املا كبيرا في رؤيته يتوقف امام الثوابت والقيم العقائدية الدينية والقومية، اذ هو مشروع إلغاء لتلك الخصوصيات والهويات التي تناضل من اجلها الكثير من الشعوب، لذلك فان إلغاء الماضي تحت مسميات حديثة لا يمكن لها ان تعالج القضايا الثقافية وتباينها المكانية لاسيما ان تلك الاختلافات الثقافية لم تستطع الوصول بها الى حل شامل أو وسطي بسبب تكويناتها ومركباتها المعقدة والمتمثلة بالبنيان الثقافي، وعلى وجه الخصوص أساسا العقائدي.

وقد تأكدت قناعة غارودي بالإسلام الذي أعلن اعتناقه له سنة 1982، ووجد فيه الأبعاد الإنسانية المطلوبة، والفرص المفقودة في أنظمة الغرب الثقافية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية، لذلك أولى أهمية للدفاع عن الإسلام، والتعرف عليه، واكتشاف جمالياته، وتركيز النقد على الغرب في رؤيته وأنماط تعامله مع الإسلام، ومع التراث الإسلامي الذي يصفه بالتراث الثالث المكوّن للتراث الغربي، والذي رفضه الغرب كما يقول غارودي منذ

ثلاثة عشر قرناً، التراث الذي كان باستطاعته ولا يزال، في نظر غارودي ليس الإصلاح بينه وبين حِكَمِ العالم فحسب، بل مساعدته بالتعرف على الأبعاد الإنسانية والإلهية التي انفصل عنها، عندما نمّى أحادياً إرادته للسيطرة على الطبيعة والناس[29].

وما يعزز هذه القناعة عند غارودي رؤيته بأن الإسلام (لم يكمل ويخصب وينشر أقدم وأرفع الحضارات فحسب، كحضارة الصين والهند وفارس واليونان والإسكندرية وبيزنطة، بل حمل إلى إمبراطوريات مفككة وحضارات ميتة، روح حياة جماعية جديدة، وأعاد إلى الناس ومجتمعاتهم أبعادهم الإنسانية والإلهية من تسام وتوحد، كما أعاد خميرة تجديد العلوم والفنون والحكمة التنبؤية والقوانين).

1-2 غارودي ومشروع النقد الحضاري:

لقد اكتشف غارودي بفكره النقدي، ومعرفته الواسعة، وانفتاحه على الثقافات غير الأوروبية، وجود أزمة حضارية عميقة في الغرب والحضارة الغربية، ولا سبيل لتجاوز هذه الأزمة وتداركها في نظره، إلا بالانفتاح على الحضارات الأخرى غير الأوروبية، والتحاور معها، والتعلم منها، لاكتشاف ما يسميه بالفرص المفقودة، والأبعاد الإنسانية والأخلاقية المطلوبة، التي نمت في الحضارات والثقافات غير الأوروبية.

وهذه الأزمة التي يعيشها الغرب في الربع الأخير من القرن العشرين، إنما ترجع في جذورها حسب رأي غارودي، إلى عصر النهضة، الذي ولدت معه الرأسمالية والاستعمار معاً، وما صاحبه من تنكر وهدم لجميع الثقافات غير الأوروبية، فقد اتبعت الحضارة الغربية في نموها وتقدمها من القرن السادس عشر وحتى العشرين، طريقة أوصلتها كما يعتقد غارودي، إلى أزمة داخلية عميقة، حدودها في ثلاثة أبعاد رئيسية، حيث يرى أن حضارة تقوم على هذه الأبعاد الثلاثة، إنها حضارة مؤهلة للانتحار، وقد شرحها في كتابه (حوار الحضارات)، وتكمن في[30]:

1 - رجحان جانب الفعل والعمل، بالشكل الذي يتحول فيه الإنسان إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك، ويفقد جوهره المعنوي والأخلاقي.

2 - رجحان جانب العقل، واعتباره قادر اً على حل جميع المشكلات، بحيث لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم حلها، والنتيجة بعد ذلك هي عدم القدرة على تحديد الغايات الحقيقية، والسيطرة على الوسائل.

3 - رجحان جانب الكم، وجعله معياراً ومقياساً لا نهائيا، بحيث يصبح النمو باعتباره نمواً كمياً صرفاً في الإنتاج والاستهلاك.

1-3 الروابط الأساسية للحوار بين الحضارات عند غارودي:

لقد حدد غارودي جملة من الروابط لقيام الحوار الفعال بين الحضارات يمكن ان نذكر بعضا منها:

- التعرف على حقيقة الأخر والتخلص من الإحكام المسبقة: إن الانطلاق الأولى لأي حوار حقيقي بين الحضارات تبدأ من خلال التعرف على الأخر وفهمه بشكل صحيح ومعرفة الأخر تقتضي قبل ذلك معرفة الذات، فالحضارة الإسلامية في نظر غارودي إنسانية في جوهرها لاهتمامها بالإنسان فالإسلام قد ربط بين العقل والإيمان، وفي لقائهما خلاص البشرية وتخفيف التوازن بين ما هو مادي وما هو معنوي[31] .
- أن يكون الحوار مبنيا على التسامح والتواضع وتقبل رأي الأخر وهذا يمكن أن تحقق إلا إذا أصغى كل طرف إلى الأخر[32] فغارودي لا ينكر أهمية الحضارة الغربية وما قدمته ولكنه يرفض مركزيتها الحضارية التي تجعلها رافضة لكل أشكال الحوار مع غيرها وخاصة مع الحضارة الإسلامية أو ما يسميه "التراث الثالث.
- الاعتراف بالتبادل والتواصل بين الحضارات فقد أثبت التاريخ الإنساني عبر الأزمنة المختلفة أن هناك حوارا بين الحضارات سواء المتعاقبة أو المتزامنة فلم تنشأ حضارة في معزل عن غيرها من الحضارات [33]، وعليه يذكر غارودي أن الحضارة الإسلامية قد أخذت عن غيرها إذ عرفت كيف تنفتح على الحضارات والثقافات الأخرى وكذلك الحضارة الغربية قد أخذت عن الحضارة الإسلامية فنهضتها الحقيقية قد بدأت في الأندلس وليس في إيطاليا، لذلك فإن هذه اللقاءات الحضارية القديمة ينبغي أن تعاود الظهور مرة أخرى فينفتح لمسلمون على حضارة الغرب مثلما ينفتح الغرب على الحضارة الإسلامية.
- ان يعرف كل طرف كيف ينفتح على الأخر: إن الاعتراف بالتبادل والتواصل بين لحضارات يتبعه شرط آخر وهو أن يعرف كل طرف كيف ينفتح على الأخر، وهذا تجنبا لذوبان الشخصية وانغماسها في ذات الأخر، فالحوار يقوم على التماثل بين الطرفين أو تنازل أحدهما للأخر في مقابل هيمنته، كما يقوم هذا الاعتراف من خلال فهم النقاط المشتركة قصد تعميقها فينبغي أن يعرف كل طرف كيف ينفتح على الأخر فيأخذ منه ما ينفعه وما يصلح لمجتمعه، وهنا يحذر المجتمع الإسلامي على وجه الخصوص متحسرا على انهياره بكل ما أنتجه الغرب[34].
- الرغبة المشتركة في تحقيق أهداف متفق عليها بين الطرفين لأن الحوار تفاهم وتعاون بين الطرفين لذلك ينبغي أن تحدد الأهداف مسبقا وهذا التفاهم بين الغرب والمسلمين ومحاولة التقريب بينهما لن يتحققا إلا بالتفاهم الفكري أي أن الحواريين الحضارات أساسه الحوار الثقافي إذ بد من حوار فكري حتى يكون هناك حوار اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا[35].

إن الامتثال لهذه الروابط قد ينتج عنها حوار فعالا إذا حافظ فيه كل طرف على هويته وعرف كيف ينفتح على الأخر، فالحوار الذي يدعو إليه غارودي" يمكن أن يجري فيه إخصاب متبادل بحوار يعرف فيه طرف كيف ينفتح على حقيقة الأخر دون أن ينحل إليها.

2- متطلبات تفعيل الحوار بين الحضارات عند الرئيس خاتمي:

طرح الرئيس الايراني محمد خاتمي مشروع (حوار الشعوب) ثم أصبح (حوار الحضارات) إذ اقترح في مقابلة مع شبكة (CNN) إلى إحلال عقلية الحوار محل عقلية الآلة والنار وقبل اقتراحه البرلمان الأوروبي ثم الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أقرت في 1998/11/04 وباتفاق الأعضاء على اقتراح خاتمي بتسمية سنة 2001 سنة حوار الحضارات.

يقوم نمط العلاقة بين الحضارات عند خاتمي، على التفاعل والتشابك فيما بينها، اذ تتأثر الحضارات ببعضها الآخر، كما ان وجود الحضارات واعتلاءها وانحطاطها يرتبط ببحوث الفكر الإنساني والآخر ايجاد حاجات جديدة في حياته، كما أن كل حضارة تتعرض الى أزمتين في تاريخها احداهما عند نشوئها (ولادتها) والاخرى عند انهيارها ويعتقد (خاتمي) أن الحضارة الغربية تواجه أزمة في الفكر في جميع شؤون الحياة، وأن الحضارة الغربية التي يسجل لها السبق على الحضارات الاخرى منذ اربعة قرون اصبحت هرمة، إلا أنه لا يمكن التنبؤ بموعد زوالها، اذ أن أخذ تدابير العلاج لازمتها في مطلع القرن الماضي بالتحول من الاستعمار القديم المستبد المتمثل بالاحتلال الى الاستعمار الجديد بصيغة التبعية للأمم والاوطان الاخرى، تسعى بالمقاييس نفسها عبر آليات النظام العالمي الجديد ، ومن خلال القوى العظمى المنفردة (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى استعادة الموقعية التاريخية والبشرية والتكنولوجية التي تمتلكها ، للاستمرار في إظهار حاكميتها بصورة ظاهرة الاصلاح[36].

ويؤكد خاتمي، بأن المشكلة الرئيسة في الحضارة الغربية اليوم، إنها في خارج حدودها الجغرافية والوطنية الرأسمالية، تواجه رؤية سيئة دائما كما تواجه نفورا من الشعوب التي عاشت تحت جور الاستعمار الغربي. ويقترح خاتمي عبر طرحه لـ (نظرية حوار الحضارات) ان يصل العالم وعبر الحوار إلى السلام والعدالة والحرية في الالفية الجديدة، إذ يصف القرن العشرين بانه قرن الحروب والتجاوزات، فالفكر كان في خدمة السياسية والمصالح الاقتصادية، فتعالوا اذن لنضع أيدينا بعضها في البعض ولنجعل السياسية في خدمة الفكر، تعالوا لنتحدث في القرن الحادي والعشرين بلسان الفكر ولنتمنى السلام والهدوء في جميع العالم.

هو يستمر في طرحه في هذا الشأن، ويعتقد بأن المسلمين اليوم بحاجة ماسة للسلام الحقيقي، فلو قبلنا أن بلدان العالم الثالث بشكل عام، والمسلمين بشكل خاص محتاجون في هذا الزمن إلى إعادة بناء، وإعادة نظر، وتجديد سياسي، واجتماعي، واقتصادي، وثقافي؛ ينبغي القبول بأن أي نوع من الصراعات والعنف — وخاصة ما يأتي من الخارج — سوف يؤدي إلى توقف الحركة الاعتيادية والطبيعية للتغيرات والتحولات، نحن بحاجة للسلام لكن ليس السلام المسلح. وعلى البلدان في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية، أعم من المسلمين، وغير المسلمين، ألا يقبلوا بفرض السلام المسلح عليهم، لقد استنزف السلام المسلح اقتصاد الاتحاد السوفييتي. إن القراءة الجديدة

لرسالة صلح الحديبية بين النبي ومعارضيه تبدو ضرورية، إذ يستطيع حوار الحضارات إضافة لما قيل أن يكون ترياقًا للخوف من الإسلام، والسلام المسلح المفروض[37].

يرى خاتمي: أن حوار الحضارات يمكن تحققه بشكلين:

أ. تأثير وتأثر مصاديق الثقافات والحضارات المختلفة بالنسبة لبعضها إثر عوامل متنوعة على طول الزمان، يمكن التعبير عنه بحوار الحضارات، والثقافات، ومن الواضح أن هذا النوع من الحوار لا يسبقه قرار، ومعرفة، وليس اختياريًا وإراديًا، بل هو محكوم بالحوادث الاجتماعية أو الأوضاع الإقليمية والتاريخية.

ب. الشكل الآخر للحوار بين الحضارات هو الحوار بين ممثلي تلك الحضارات، أمثال العلماء والفنانين، والفلاسفة. وفي هذه الحالة الحوار: هو نشاط مبني على الإدراك، والقرار، ولا يكون مقهورًا للعوامل التاريخية أو الجغرافية. إن عدم الحوار في الأسس، والتطرق للظواهر، والبنى الفوقية لا يطور عمل الحوار، لأن الأمور الظاهرية التي توصف عادة بالأمور "الواقعية"، "الضرورية" و"العاجزة"، إذا لم تكن مستندة إلى التوافق أو الإدراك الدقيق للمحاورين في الموضوعات الأساسية على الأقل، عادة ما تنجر بهم إلى توسعة رقعة سوء التفاهم بينهم... أما العالم المحكوم اليوم بالأحكام السياسية، والعسكرية، والاقتصادية هو عالم يُفضي في النهاية إلى تخريب البيئة المستمرة، والتخريب غير المتناهي للساحات المعنوية – الفنية، والشاعرية للإنسان. ولأجل التغلب على هذه الأزمة لا تكفي أفكار الفلاسفة، ولغة العلماء، ومساعي المصلحين الاجتماعيين. ذلك هو الفنان والشاعر الذي يستطيع بقدرته السحرية أن يَسْتَلَّ الحياة أو جزءًا منها من قبضة الموت ويجعل استمرار الحياة، والطبيعة، والإنسان ممكنًا... وبالإضافة إلى التجارب الفنية، والشاعرية، يبدو العرفان واحدًا من اللغات اللطيفة، والعميقة، والعالمية، والعمومية أيضًا[38].

3– تعارف الحضارات ..والبناء المعرفي عند زكي الميلاد:

إن مقولة (تعارف الحضارات)، لا تعني مجرد الاعتراف بتعدد الحضارات وتنوعها، وإنما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، وتأسيس الشراكة الحضارية فيما بينها، وتبادل المعرفة والخبرة، فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة، وإنما إلى استنهاض الحضارات كافة. لهذا فإن مفهوم تعارف الحضارات أكثر ضبطاً وصواباً من مفهوم حوار الحضارات، وأوضح تعبيراً عن الرؤية الإسلامية في هذا الشأن، وأن التعارف هو الذي يؤسس للحوار وينهض به، وما تحتاج إليه الحضارات في عالم اليوم هو التعارف الذي يرفع الجهل بصوره كافة، الجهل المسبب للصدام بين الحضارات، في المقابل أن التعارف هو الذي حافظ على تعاقب الحضارات في التاريخ الإنساني[39].

لهذا يفترض أن يكون للتصور الإسلامي رؤية أو مفهوم يحدد شكل العلاقات مع الأمم والمجتمعات والحضارات الأخرى، والمفهوم الذي نتوصل إليه في هذا المجال، ونزداد ثقة به، وبقيمته المعرفية والأخلاقية والإنسانية هو مفهوم (التعارف)، ومنشأ هذا المفهوم القرآن الكريم الذي خاطب الناس كافة، وجاء رحمة للعالمين،

وكشفت عنه آية التعارف في قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " سورة الحجرات، آية13 .

وهذه الآية تحديداً من أكثر آيات القرآن الكريم التي تكرر ذكرها والحديث عنها، والالتفات إليها في الكتابات العربية والإسلامية، منذ أن تجدد الحديث حول حوار الحضارات، الأمر الذي يجعلها ذات علاقة الشأن. وقد استشهد بهذه الآية الدكتور حسين مؤنس في كتابه (الحضارة)، الذي تحدث فيه عن أصول الحضارة وعوامل قيامها وتطورها، وذلك في سياق حديثه عن علاقة الحضارة بالأجناس، وما توصل إليه المؤرخون الغربيون بعدم حصر القدرة على بناء الحضارة بأجناس معينة، وأن الحضارات إنما قامت بمشاركة أجناس متعددة[40].

والتأمل الفاحص لهذه الآية، يكشف لنا عن حقائق كلية ذات أبعاد إنسانية عامة، نتوصل منها لمفهوم نصطلح عليه بتعارف الحضارات، والتعارف هو المفهوم الذي حاولت هذه الآية تحديده وتأكيده وإبرازه والنص عليه، من خلال سياق وخطاب يؤكد على قيمته وجوهريته، لأن يكون مفهوماً أساسياً، وذلك بالاستناد على الحقائق التالية[41]:

أولا: الخطاب في سورة الحجرات متوجه بشكل صريح إلى المؤمنين في بداية السورة وفي خاتمتها، باعتبارها من السور المدنية، إلا في هذه الآية الثالثة عشرة حيث توجه الخطاب إلى الناس كافة بصيغة (يا أيها الناس)، الأمر الذي جعل بعض المفسرين يعتبر هذه الآية مكية، وكون الخطاب متوجهاً إلى الناس كافة فهو ناظر إليهم بكل تنوعهم وتعددهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وإلى غير ذلك من تمايزات ومفارقات .

ثانياً: التذكير بوحدة الأصل الإنساني في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) الحجرات، الآية 13، فالناس مع كل اختلافا وتعدديا‌تهم وتباعدهم في المكان والأوطان، إنما يرجعون في جذورهم إلى أصل إنساني واحد .والقصد من ذلك أن يدرك الناس هذه الحقيقة، ويتعاملوا معها كقاعدة إنسانية وأخلاقية في نظرتهم لأنفسهم، وفي نظرة كل أمة وحضارة إلى غيرها، كما لو أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض الممتدة.

ثالثاً: الإقرار بالتنوع الإنساني في قوله تعالى (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) الحجرات، الآية 13، وهذه حقيقة اجتماعية، وقانون تاريخي، فالله سبحانه وتعالى بسط الأرض هذه المساحة الشاسعة لكي يتوزع الناس فيها شعوباً وقبائل، ويعيشوا في بيئات وجغرافيات ومناخات وقوميات مختلفة ومتعددة، لكي يعمروا هذه الأرض، ويكتشفوا كنوزها وخيراتها، ويتبادلوا ثرواتها ويجعلوا منها بيتاً مشتركاً وآمناً ومتمدناً للجميع، علماً أن القرآن الكريم لم يذكر في كل آياته عبارة (شعوباً وقبائل) إلا في هذه الآية.

رابعاً: خطاب إلى الناس كافة، وتذكير بوحدة الأصل الإنساني، وإقرار بالتنوع بين البشر، فما هو شكل العلاقة بين الناس؟ من بين كل المفاهيم المحتملة في هذا الشأن، يتقدم مفهوم التعارف (ليتعارفوا).

فتنوع الناس إلى شعوب وقبائل، وتكاثرهم وتوزعهم في أرجاء الأرض، لا يعني أن يتفرقوا، وتتقطع السبل، ويعيش كل شعب وأمة وحضارة في عزلة وانقطاع .كما لا يعني هذا التنوع أن يتصادم الناس، ويتنازعون فيما بينهم من أجل الثروة والقوة والسيادة، وإنما (ليتعارفوا).

خامساً: إذا انطلقنا من قاعدة التفاضل والمقارنة لنتساءل، لماذا لم تستخدم الآية كلمة ليتحاوروا، أو ليتوحدوا، أو ليتعاونوا، إلى غير ذلك من كلمات ترتبط بهذا النسق، ويأتي التفضيل لكلمة (ليتعارفوا)؟.

وهذا هو مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم التعارف، فهو المفهوم الذي يؤسس لتلك المفاهيم المذكورة (الحوار، الوحدة، التعاون)، ويحدد لها شكلها ودرجتها وصورتها، وهو الذي يحافظ على فاعليتها وتطورها واستمرارها، هذا من جهة الإيجاب .أما من جهة السلب فإن التعارف كمفهوم وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات النزاع والصدام[42].

4- موقف الجزائر الثابت في تعزيز مبدأ الحوار بين الحضارات و الثقافات.

مع تواتر نبرات الكراهية والعداء وصناعة الحروب، كانت تتعالى على الدوام من بين العوالم المختلفة، أصوات الحكمة ودعوات السلام لجعل الأرض مكانا أفضل للعيش المشترك ولو من باب تسجيل المواقف، أو هكذا يبدو على الأقل، فقد كان الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة من دعاه هذا الحوار القائم على التعايش الحضاري ونبذ الكراهية في كلمة ألقاها بمناسبة افتتاح أشغال الملتقى الدولي حول الحوار المثمر بين الثقافات و الحضارات و الذي احتضنته الجزائر سنة 2003، حيث قال " لما نبحث عن غاية للحوار، لا اعتقد أننا لا نقف، أول ما نقف، على وجوب أن يكون الحوار، قبل كل شيء، اعترافا بالآخر الاعتراف الذي يصبغ الشرعية عليه، الاعتراف الذي من دونه لا يكون وجود للحوار بالمرة، كما أنه لا حوار من دون وجود أرضية مشتركة، ومن هذا المنظور، أقول، وأنا مرتاح، أن الإسلام تجاوز هذه الإشكالية إذ اعترف مبكرا بالديانات الأخرى وجنح إلى الحوار في مخاطبة غيره من الأديان." [43]

وفي ظل الوضع الكارثي لاغتراب البشر في هذا العالم عن الشرط الإنساني نفسهّ، فإن رفع رهان الاعتراف بالآخر و المعرفة العميقة به، بات شرطا ضروريا لرهان التكامل، حيث يقول بوتفليقة في كلمة ألقاها في الملتقى الذي نظم تحت شرف منظمة اليونيسكو حول موضوع الحوار بين الحضارات: عامل سلم و تقدم بالنسبة للإنسانية"، حيث يرى أن "الحوار بين الحضارات هو من محفزات التقدم من حيث أنه يسمح بنشر الإبداعات المحققة في ظل كل حضارة، و هو عامل إتقان للجنس البشري عامة، و السعي الدائم لأنسنة البشر، و لما اتفق على تسميته بالحضارة" [44].

وهو موضوع مثير لقلق بالنسبة للرجل السياسي الذي أمامكم لأن التأكيد المتزايد في السنوات الأخيرة على الحوار بين الحضارات لا يفوح بأريج البراءة، إذ أخشى ألا يكون بمعنى الارتقاء إلى طور الحوار الفعال والمتعدد الأشكال بين مختلف حضارات المعمورة بقدر ما يكون حامل في ثنياه لمقاومة فكرية وسياسية، وبروز خطاب

وممارسات رامية إلى الإقرار بفرضية النزاع و "الصدام" بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى، خاصة الإسلامية منها".

إن تكريس مبدأ الحوار والتعايش السلمي بين الحضارات يتوقف حسب الرئيس بوتفليقة " تحرر الغرب من النظرة الضيقة للإسلام والنظرة الأثنية إلى الحضارات الأخرى"، التي تحيل الآخرين إلى اللامعنى الذي يلغي قيمة الوجود الإنساني نفسه، لذلك فإن المشهد العالمي يحتاج لا إلى حضارة واحدة تختزل نتاج الآخرين ووجودهم، وتكرس تبعيتهم دون إرادة منهم، بل يكتمل بتكافؤ تمثيل جميع الحضارات بأطيافها العرقية وألوانها الثقافية وتركيباتها الاجتماعية ..."[45].

الخاتمة:

من خلال عرض المقاربات الغربية و العربية حول الحوار الحضاري، يبدو واضحا ان حوار الحضارات هو السبيل نحو نظام عالمي يسوده الأمن والاستقرار والتسامح والتعاون، فالحوار هو طريق الحضارة، ويقوم على الاعتراف بالأخر واحترامه كإنسان له الحق في ابداء رأيه، والحضارة التي لا ينتشر فيها الأمن والأمان، فهي ليست حضارة كما قال الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، وإنما هي تقدم مادي وتقني يحمل بداخله التدمير والشر والفناء .

فالحوار الفعال مع الأخر ينطلق من الحوار الذاتي التي يؤسس لعلاقة ارتباطية مبينة على أسس ثقافية وحضارية تعترف بالأخر كإنسان في جوهره، وفاعل في فكره و تصوراته، فكل الطروحات المؤيدة لمشروع الحوار بين الحضارات استندت الى تفعيل مبدا قبول الأخر بغض النظر عن انتمائه وتوجهاته وثقافته، ومن هنا تبرز اهمية القوى الفاعلة في إيجاد سبل حوار بين الحضارات متفتح ومثمر .

الهوامش:

[1] ممدوح الشيخ، ثقافة قبول الآخر، مكتبة الإيمان، المنصورة (ج.م.ع)، ط1، 2007، ص 79.

[2] الإفريقي، محمد بن مكرم بن منظور المصري (730-811) لسان العرب ، دار صابر ، بيروت، ط1 ، 4/214

[3] مختار الصحاح الناشر : ترتيب محمود خاطر ، دار الحديث بالقاهرة، دار مصر للطباعة ، ص 161

[4] زكريا أبو الحسين أحمد: مقياس اللغة: تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر، بيروت، 1989 ، ج2 ، ص115

[5] الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها، دار القلم دمشق، ط1 ، 1998، ص19

[6] مختار الصحاح ، مرجه سابق، ص 141

[7] محمد عمارة : التراث والمستقبل ، دار الرشاد، القاهرة، ط2 ،1997، ص215

[8] أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة : دار الفكر العربي، د.ط، 1990، ص11.

[9] ابن خلدون ، المقدمة: تحقيق علي عبد الواحد ، ص 548.

[10] محمد محفوظ: الاسلام و الغرب و حوار المستقبل ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط1 ، 1998، ص 137.

[11] ماجد الغرباوي: مقال حوار الحضارات، مجلة التوحيد، مؤسسة الفكر الإسلامي و مؤسسة التوحيد، إيران، عدد 86 ، 1997 ، ص 05 .

[12] هاني ادريس: حوار الحضارات بين أنشودة الثقافة وصرخة الهامش، الدار البيضاء، المغرب، 2002 ، ص 75.

[13] روجيه غارودي،: من أجل حوار بين الحضارات: ترجمة عادل العوّا ، ط1 ، منشورات عويدات، بيروت، لبنان ،1999 ، ص33.

[14] عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1 ، 1998، ص6.

[15] زكي الميلاد، من الحضارات إلى تعارف الحضارات، ندوة " الإسلام و حوار الحضارات" ، ص233.

[16] حسن حنفي :تقييم تجارب حوار الحضارات في كتاب نادية محمود مصطفى، علاء الدين أبو زيد :خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، دار السلام، ، القاهرة، ط2، 2007، ص75.

[17] محمد خاتمي :حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي ، دار الفكر دمشق، ط1 ، 2002 ، ص 29.

[18] علي اصغر صباغ بور: حوار الحضارات في عالم متغير، مجلة كفتمان، العدد 3، ايران، ، د.ط، 1999، ص 173 – 175.

[19] أشرف محمد زيدان و آخرون : إضاءات قرآنية حول مفهوم حوار الحضارات ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الثالث ، العدد 12 ، 2011 ، ص26.

[20] أشرف محمد زيدان و آخرون : مرجع سابق ص27.

[21] تفسير القرطبي 209/18.

[22] أشرف محمد زيدان و آخرون : مرجع سابق ، ص29.

[23] محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام ، دار المعارف ، القاهرة، ، د.ط، 1997 ص 121.

[24] مستقبل العالم الإسلامي (سلسلة دورية يصدرها مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا) ، العدد 15 فبراير، 1999 ص 3.

[25] عبد العزيز بن عثمان التويجري: الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، سلسلة المعرفة ، الرباط ،، د.ط، 1999 ، ص 74.

[26] روجية غارودي : في سبيل حوار الحضارات ، مرجع سابق،ص10.

[27] عادل التل: فكر جارودي بين المادية والاسلام ، دار البنية ، بيروت، ط1، 1998 ص103 .

[28] روجية غارودي : في سبيل حوار الحضارات ، مرجع سابق ،ص10.

[29] زكي الميلاد : مرجع سابق ، ص7.

[30] زكي الميلاد : مرجع سابق ، ص8.

[31] روجيه غارودي: وعود الإسلام : ترجمة مهدي زغيب، الدار العالمية للطباعة النشر التوزيع، بيروت، ، د.ط ، 1984، ص23.

[32] رامي كلاوي: روجيه غارودي من الإلحاد إلى الإيمان : لقاءات ومحاضرات ، دار قتيبة، دمشق، 1990 ، ص206.

[33] روجيه غارودي حوار الحضارات: ترجمة عادل العوا ، عويدات للنشر الطباعة، بيروت، ط6 ، 2007 ، ص107.

[34] رامي كلاوي: مرجع سابق، ، ص208.

[35] روجيه غارودي: وعود الإسلام، مرجع سابق، ص23.

[36] محمد خاتمي : حوار الحضارات ، مركز حوار الحضارات، طهران، ط1، 1998، ص42.

[37] إبراهيم يزدي: حوار الحضارات، مجلة كفتمان، العدد 6، ايران، 2002، ص 249.

[38] محمد خاتمي، عالم الغد وحوار الحضارات، دار باز للنشر، طهران، ، د.ط، 2001، ص70-73.

[39] زكي الميلاد ، تعارف الحضارات :الفكرة، الخبرة والتأسيس ، مجلة الحوار الثقافي ، مخبر حوار الحضارات ، التنوع الثقافي و فلسفة السلم، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2013 ، ص20.

[40] زكي الميلاد، مرجع سابق، ص17.

[41] زكي الميلاد، مرجع سابق، ص18.

[42] زكي الميلاد ، مرجع سابق ، ص19.

[43] عبد العزيز بوتفليقة ،كلمة ألقاها في الملتقى الدولي حول الحوار المثمر بين الثقافات و الحضارات ، 24 مارس 2003 .

[44] عبد العزيز بوتفليقة ، خطاب ألقاه حول موضوع "الحوار بين الحضارات: عامل سلم و تقدم بالنسبة للإنسانية" المنظم من طرف منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (يونيسكو) ، باريس، الثلاثاء 5 أفريل 2005 .

[45] عبد العزيز بوتفليقة ،كلمة ألقاها في الملتقى الدولي حول الحوار المثمر بين الثقافات و الحضارات ، 24 مارس 2003.